

العمل الإنساني بين الرسالة وبريق الشهرة: قراءة شرعية معاصرة

بقلم: د. زُبَيْر سُلْطَان رَبَّانِي

كاتب في الفكر وقضايا الإنسان والهوية والتحويلات الحضارية



المقدمة

الحمد لله الذي خلق الخلق لعبادته، وجعل توحيده وإخلاص
القصْد له غايةً وجودهم ومناطَ تكليفهم، فقال سبحانه: ﴿وَمَا
أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: 5].
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تُزَكِّي المقاصد
وتطهِّر الأعمال من شوائب الرياء، وأشهد أن محمدًا عبده
ورسوله، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، صلوات
ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

لقد أصبح الإنسان المعاصر في خضم حضارة متسارعة، وفتنة
متشابكة من الماديات والتنافس، معرضًا لخطر تلَوْن مقاصده،
وتشوُّش نيَّاته. كثير من الأعمال صارت مُتَّجِهَة إلى مصالح دنيوية
زائلة، وانصرف عنها الغاية العظمى التي خُلِق من أجلها الإنسان:
عبادة الله تعالى وطلب رضوانه. لم تعد الاستقامة في العقيدة
والإخلاص في العمل المعيار الأول، بل أصبحت المقاصد تتفرَّع
بين منصبٍ وجاه، وسمعة وشهرة، وترقية وشهادة، حتى صار

جميع الحقوق محفوظة ©



www.islamanar.com

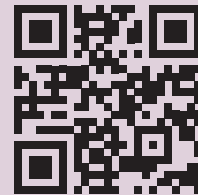
أبحاث محكمة



د. زُبَيْر سُلْطَان رَبَّانِي

العمل الإنساني بين
الرسالة وبريق الشهرة:
قراءة شرعية معاصرة

لتنزيل البحث يمكن مسح الرمز التالي:



البريد الإلكتروني:

contact.islamanar@gmail.com

العمل في صور كثيرة مجرد وسيلة لتحقيق مكاسب دنيوية عابرة، تفتقر إلى روح العبودية ونفس القبول عند الله.

وهذا الانحراف عن مقصود التوحيد الخالص، وعن معنى الإخلاص في العمل، يمثل أزمة جوهرية في العقيدة، ويخلّ بمسار العبودية الصحيح، إذ يؤدي إلى ضياع مقاصد الشريعة في تزكية النفوس، وإصلاح العمل، وإقامة العمران على أسس الحق والعدل. إنها معركة حاسمة بين الاستقامة التي تُثمر صدق الإيمان وخلود النفس في الجنان، وبين الانحراف الذي يقود إلى التيه والخسران المبين. يقول الله تعالى محدّثاً من الالتفاف وراء زخارف الدنيا:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: 15-16].

وفي هذا البحث، نهدف إلى تأصيل مقاصد العمل بين الاستقامة والانحراف، من خلال دراسة واقعية تستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، محاولين كشف العوامل التي تشوّه المقاصد، وسبل استعادتها، وصولاً إلى فهم شامل للعلاقة بين النية والعمل، ورفع مستوى الوعي الفردي والمجتمعي بأهمية الإخلاص في كل فعل وقصد.

أولاً: حقيقة النية والإخلاص في القرآن والسنة

تحتل النية والإخلاص منزلةً رفيعة في بناء العمل الإنساني في التصور الإسلامي؛ فمن القلب تنبعث الأعمال، وفيه تتشكل مقاصدها، وبه تتحدد وجهتها وقيمتها. ولذلك جاءت عناية الوحي بإصلاح الباطن أساساً لاستقامة الظاهر، حتى تتألف سريرة الإنسان مع عمله، وتتجه حركته في الحياة إلى غاية واضحة تستمد معناها من العبودية لله تعالى.

ومن يتأمل القرآن الكريم والسنة النبوية يجد أن النية والإخلاص يشكلان أساساً عميقاً في تقويم مقاصد العمل؛ فالنية تمنح الفعل وجهته، والإخلاص يصبون هذه الوجهة ويصقّيها لله تعالى، ومن اجتماعهما تنشأ سلامة القصد التي تمنح العمل روحه وقيّمته. ومن هنا تبرز أهمية تحرير مفهوميهما، واستجلاء الصلة بينهما، ثم بيان أثرهما في استقامة العمل وحفظ مقاصده.

1- حقيقة النية والإخلاص والعلاقة بينهما

تدور النية في أصلها اللغوي حول القصد والعزم والتوجّه؛ يقال: «نوى الشيء» إذا قصده وعزم عليه (أحمد رضا، 1380هـ، ج5، ص585؛ التهانوي، 1996، ج2، ص1735). فهي توجّه القلب نحو غاية مقصودة، ومن هذا التوجّه ينطلق الفعل ويتحدد مساره.

وفي الاصطلاح الشرعي، هي قصد القلب إلى الفعل وتعيينه والتوجّه به إلى غايته، ويكتمل معناها التعبدية حين يتجه العبد بعمله إلى الله تعالى ابتغاء مرضاته. وقد عبّر العلماء عن ذلك بصيغ متقاربة؛ فقال الهوتوي: «النية هي: العزم على فعل الشيء تقريباً إلى الله تعالى» (البعلي، 2003، ص88)، ويبيّن القرطبي أن «حقيقة النية: قصدُ التقرب إلى الأمر بفعل ما أمر به على الوجه المطلوب منه» (القرطبي، 1964، ج1، ص176)، وذكر الشوكاني أن «المراد بالنية: قصدُ تأدية العبادة التي شرعها الله لعباده على الوجه المأمور به» (الشوكاني، د.ت، ص129). فالنية، في جوهرها، هي القصد الباطن الذي يعيّن العمل ويوجّه غايته، وبها تتفاوت الأعمال المتشابهة في صورتها بحسب ما تحمله القلوب من مقاصد.

أما الإخلاص، فيدور معناه اللغوي حول التصفية والتنقية والخلوص من الشوائب؛ فيقال: «أخلص الشيء» إذا صفّاه ونقّاه مما يخالطه، ومنه إخلاص القصد، أي تصفيته مما يشوش وجهته» (الأزدي، 1987، ج1، ص604). ومن هذا المعنى اللغوي تنبثق حقيقته الشرعية القائمة على صفاء القصد واستجماع القلب في ابتغاء مرضاة الله تعالى.

وقد تنوعت عبارات العلماء في بيانه، وهي تلتقي عند المعنى القرآني الجامع في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5]. فقيل: «الإخلاص هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعات» (أبو بكر محمد زكريا، 2000، ج2، ص1278)، وقيل: «الإخلاص: هو استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، بحيث لا يكون ظاهره خيراً من باطنه» (سليمان بن عبد الله، 2002، ص460)، وقيل: «هو تصفية العمل من كل ما يشوبه» (التهانوي، 1996، ج1، ص123)، وقيل: «الإخلاص: هو ستر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوّ فيميله» (الجرجاني، د.ت، ص14).

وتجتمع هذه التعريفات في معنى جامع هو أفراد الله بالقصد، وتصفية العمل من دوافع الرياء والسمعة والتطلع إلى المنزلة في قلوب الخلق. فالإخلاص يجعل مرضاة الله الغاية العليا التي تنتظم حولها سائر المقاصد المشروعة والمصالح المباحة. وقد لخص القاضي عياض حقيقته بقوله: «ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما» (الحريقي، 1993، ص 64).

وعلى هذا تتحدد الصلة بين النية والإخلاص بوضوح: فالنية تحدد مقصد العمل، والإخلاص يصفى وجهته لله تعالى. وقد تتشابه الأعمال في ظاهرها، ثم تتباعد مراتبها بحسب البواعث الكامنة وراءها؛ فالعلم قد يُطلب للهداية والنفع، وقد تحركه الشهرة والمباهاة، والصدقة قد تنبع من ابتغاء مرضاة الله، وقد تدفع إليها الرغبة في الثناء. ومن هنا تتجلى قيمة النية والإخلاص في الميزان المقاصدي؛ إذ تكشف النية لماذا يعمل الإنسان؟ ويكشف الإخلاص لمن يتجه بعمله؟ ومن استقامة الجواب عن هذين السؤالين تستقيم حقيقة العمل ومساره.

2- منزلة النية والإخلاص وأثرهما في استقامة العمل

تنبع منزلة النية من كونها الميزان الباطن الذي يصل العمل بمقصده، وقد قرر النبي ﷺ هذا الأصل بقوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» (البخاري، 1422هـ، رقم 1، ج 1، ص 6؛ مسلم، 1334هـ، رقم 1907، ج 6، ص 48)، فبحقيقة القصد تتحدد قيمة العمل، وتتفاوت مراتب الأعمال وإن تشابهت صورها. ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى حين يربط الأجر بابتغاء مرضاة الله، فقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114]. ومن هنا ترتقي العادة بالنية إلى العبادة، ويتصل المباح بمقصد القربة، وتصبح استقامة الغاية أساساً لاستقامة العمل.

ويأتي الإخلاص ليمنح هذه النية صفاءها وثباتها؛ ولذلك قرنه القرآن بأصل العبودية، فقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162-163]. وهكذا يغدو الإخلاص روحاً تسري في العبادة والعلم والعمل وسائر شؤون الحياة، فتجتمع المقاصد المشروعة تحت غاية عليا هي ابتغاء مرضاة الله تعالى.

وتزداد أهمية هذا المعنى أمام دقة الآفات القلبية؛ فقد يبتدئ العمل بقصد صالح، ثم تجتذبه لذة الثناء أو بريق الشهرة أو طلب المنزلة. ولهذا ورد وصف الشرك الخفي بأنه «أخفى من ديبب النملة» (أحمد بن حنبل، 2001، رقم 19606، ج32، ص384؛ ابن أبي شيبة، 2015، رقم 31525، ج16، ص261)، وجاء الوعيد في شأن من أدوا أعمالاً عظيمة كالجهاد وقراءة القرآن والصدقة، ثم اتجهت مقاصدهم إلى المحمدة والذكر بين الناس، ف قيل لهم: «قد قيل» (الترمذي، 2009، رقم 2540، ج4، ص394). فصدق المقصد هو الذي يمنح العمل منزلته الحقيقية، مهما علا قدره في أعين الناس.

ولهذا قرر العلماء أن النية روح العمل، والإخلاص حياتها ونقاؤها؛ فبصحة القصد وصفاء الوجهة يستقيم العمل وتثمر آثاره (التميمي، 2022، ص207). ويظهر ذلك في حياة الإنسان كلها؛ فيغدو العلم أمانة، والوظيفة مسؤولية، والمنصب تكليفاً، والمال وسيلة للخير، وخدمة الناس باباً من أبواب القرب. كما تصبح الأعمال اليومية، من الكسب والتعلم ورعاية الأسرة وخدمة المجتمع، جزءاً من معنى العبادة متى انتظمت في مقصد صالح.

ومن هنا تحتاج النية إلى مراجعة دائمة تحفظ صفاءها: تصحيحُ للباعث عند البداية، ومراقبةً للوجهة أثناء العمل، وحراسةً للقلب بعد الإنجاز من العجب والتطلع إلى ثناء الناس. وبهذا يتحول فقه النية والإخلاص إلى منهج عملي يرافق الإنسان في حركته كلها.

ويتضح بذلك أن النية والإخلاص يمثلان الأساس الباطن لاستقامة مقاصد العمل؛ فإذا استقامت الوجهة سمت الأعمال واتصلت بالعبودية، وإذا اضطرب المقصد بدأ الانحراف من القلب، ثم امتد أثره إلى السلوك والمؤسسات والمجتمع. ومن هنا ينتقل النظر إلى أبرز صور الانحراف المقاصدي في الواقع المعاصر.

ثانياً: الانحراف المقاصدي في الواقع المعاصر

يمتد معنى العبادة في الإسلام إلى حياة الإنسان كلها؛ فالعلم والعمل والكسب وخدمة الناس وسائر شؤون العمران يمكن أن تنتظم في مقصد العبودية متى استقامت النية واتجه العمل إلى مرضاة الله. ومن هنا فإن الانحراف المقاصدي لا يختص بالشعائر، بل يظهر في مختلف ميادين الحياة حين تتقدم الشهرة أو الجاه أو المال أو المباهاة أو المصلحة الضيقة

على الغاية الشرعية، فتظل صورة العمل قائمة، بينما تتحول وجهته ويضعف أثره الأخلاقي والتعدي.

1- انحراف المقاصد في العلم والمعرفة

للعلم في التصور الإسلامي رسالة تتجاوز جمع المعلومات إلى الهداية، وبناء الإنسان، وكشف الحق، وخدمة المجتمع. ويبدأ الانحراف حين يتحول العلم من رسالة إلى وسيلة لصناعة المكانة أو تحقيق المكاسب التي تستولي على مقصده.

* طلب الشهادات والألقاب:

قد يتحول التحصيل الأكاديمي إلى سباق نحو الشهادات والدرجات والألقاب والمناصب، فيتقدم المظهر العلمي على رسوخ المعرفة وأثرها. وقد حذّر النبي ﷺ من طلب العلم للمباهاة وجذب أنظار الناس بقوله: «من طلب العلم ليُجاري به العلماء، أو ليُماري به السفهاء، ويَصْرِفَ به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار» (الترمذي، 2009، رقم 2845، ج 4، ص 595). فالقيمة الحقيقية للعلم تظهر فيما يصنعه من فهم وعمل وإصلاح.

* التكاثر بالمؤلفات والأبحاث:

ويظهر الخلل كذلك حين تصبح كثرة الكتب والأبحاث غاية في ذاتها، ويتقدم عدد المنشورات على جودة التحقيق وأصالة الفكرة وحاجة الناس إليها. وقد جاء التحذير من اتخاذ العلم سبيلاً للمباهاة والمماراة وتصدر المجالس: «لا تَعْلَمُوا العلم لثبَاهوا به العلماء، ولا لثَمَاروا به السفهاء، ولا تَخَيَّرُوا به المجالس، فمن فعل ذلك، فالنار النار» (ابن ماجه، 2009، رقم 254، ج 1، ص 170). فشرف التأليف في الإضافة والنفع وصدق الخدمة للمعرفة.

* تسليع المعرفة:

وقد تتحول الدروس والدورات والفتاوى والمنتجات العلمية إلى مجال تحكمه حسابات السوق والترويج. والكسب من العلم له أحكامه وضوابطه، غير أن الأزمة تبدأ حين يصبح العائد المالي هو الدافع المهيمن على الرسالة العلمية. وقد نُقل عن ابن القيم أن العلم إذا تجرد عن قصد وجه الله كان وبالاً على صاحبه (ابن القيم، د.ت، ج 1، ص 115).

*الفجوة بين العلم والعمل:

من مقاصد العلم أن يثمر خشيةً وخلقاً ومسؤوليةً وإصلاحاً. فإذا اتسعت المسافة بين المعرفة والسلوك فقد العلم جانباً من رسالته. وقد استعاذ النبي ﷺ من «علم لا ينفع» (مسلم، 1334هـ، رقم 2722، ج 8، ص 81)، وجاء عن السلف: «العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه أقام وإلا ارتحل» (الماوردي، 1986، ص 76). فثمرة العلم تظهر في الإنسان قبل أن تظهر في أوراقه وشهاداته.

*صناعة الشهرة العلمية:

أتاحت المنصات الرقمية للعلم والدعوة انتشاراً واسعاً، وهو باب عظيم للنفع، لكنها أوجدت كذلك بيئة تُقاس فيها المكانة أحياناً بعدد المتابعين والمشاهدات. ومن هنا ظهر نموذج «العالم النجم» أو «المؤثر الديني»، ويقع الخلل حين تصبح الرسالة أداة لصناعة الصورة الشخصية، ويصبح الحضور الإعلامي غاية تسبق العلم والخلق والأثر (Slama & Hoesterey, 2021, pp. 5–32; Hooker, 2018).

*الجدل والممارسة:

كما يختل مقصد العلم حين يتحول الحوار إلى ميدان لطلب الغلبة وإثبات التفوق، فتُسْتَهْلَك الطاقات في الخصومات ويضيق مجال البحث عن الحق. وقد قال ﷺ: «ما ضلّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» (ابن ماجه، 2009، رقم 48، ج 1، ص 33). فالحوار العلمي يحقق مقصده حين يقود إلى البيان والفهم، ويتعد عنه حين يصبح ساحة للانتصار للنفس.

وتلتقي هذه الصور كلها عند أصل واحد: تحول العلم من الهداية والنفع والعمل إلى وسيلة للشهرة أو المال أو المكانة أو المغالبة.

2- انحراف المقاصد في العمل والحياة العامة

تستقيم مقاصد العمل حين ينظر الإنسان إلى مسؤوليته بوصفها أمانة ووسيلة للنفع وتحقيق المصالح المشروعة. ويتحول المسار حين تصبح الوظيفة أو المنصب أو النشاط طريقاً للوجاهة أو النفوذ أو المنفعة الذاتية.

*الأعمال الدينية والدعوية:

التدريس وتحفيظ القرآن والإمامة والدعوة ميادين لتربية النفوس وبناء الوعي، وتعظم رسالتها بصدق القصد. وقد قرن الله العبادة بالإخلاص فقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5]، وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» (البخاري، 1422هـ، رقم 1، ج 1، ص 6؛ مسلم، 1334هـ، رقم 1907، ج 6، ص 48). ويظهر الانحراف حين تتحول هذه المواقع إلى أدوات للظهور وصناعة المكانة والتسويق الذاتي.

*المحافل القرآنية والحديثية:

مقصد هذه المحافل تعظيم الوحي، وإحياء معانيه، وربط القلوب بالقرآن والسنة. ويضعف أثرها حين يطغى بريق الأداء والمظهر وحسابات المشاهدة على التدبر والانتفاع. قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10] (الفيومي، 2018، ج 8، ص 53).

*الوظائف العامة والخدمة المدنية:

تقوم الوظيفة العامة على الأمانة والعدل ورعاية مصالح الناس. فإذا استُخدمت المواقع للمحسوبية أو تمرير المصالح الخاصة والفئوية، ضعفت الثقة بالمؤسسات واضطرب مقصد المسؤولية العامة (ابن القيم، 2019، ج 3، ص 1141). فالموقع العام تكليف قبل أن يكون امتيازاً.

*السياسة والانتخابات:

مقصد العمل السياسي خدمة المجتمع، وحماية المصالح، وتحقيق العدل بقدر الوسع. وينحرف هذا المقصد حين تهيمن الرغبة في النفوذ والوجاهة، أو تُستخدم الانتماءات الدينية

والاجتماعية لحشد التأييد، فتتقدم الصورة الدعائية على الكفاءة والأمانة والبرنامج الإصلاحي (التميمي، 2022، ص334).

*الإعلام والصحافة:

للإعلام قدرة واسعة على تشكيل الوعي وتوجيه الرأي العام، ومن ثم تتعاظم مسؤوليته الأخلاقية. ويستقيم مقصده حين يخدم الحقيقة والمصلحة العامة، بينما يضطرب حين تهيمن مطاردة المشاهدات والعناوين المثيرة والسبق المجرد. قال تعالى: ﴿قُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 105] (الأنصاري، 1431هـ، ج13، ص388).

*التجارة وكسب المال:

الكسب الحلال مقصد مشروع، وتتحقق به الكفاية والاستغناء والإعمار، غير أن المال قد ينتقل من وسيلة نافعة إلى غاية مهيمنة تستولي على سائر المقاصد. ويزداد الخلل حين تُستثمر الرسائل العلمية أو الدعوية لمجرد تعظيم الربح. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: 15].

*الأسرة والعلاقات الاجتماعية:

الزواج ميثاق للسكن والمودة والرحمة، والعلاقات الاجتماعية مجال للتراحم والتكافل. وقد يضعف هذا المقصد حين تطغى ثقافة التفاخر والتكلف واستعراض المناسبات، فتتقدم الصورة الاجتماعية على حقيقة العلاقة. وقد قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21].

*البحث العلمي والتقنية والعمران والبيئة:

العقل والموارد والكون أمانات تدخل في معنى الاستخلاف؛ ولذلك يتجه العلم والتقنية والعمران في مقصدها الصحيح إلى خدمة الإنسان، وحفظ الحياة، وتنمية الموارد، وإعمار الأرض. ويقع الانحراف حين تُسخّر هذه القدرات للتدمير أو التضليل أو الاستنزاف. قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77]، وقال سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: 41].

وهكذا تتعدد ميادين العمل، بينما يبقى ميزانها المقاصدي واحداً: أن تؤدي المسؤولية باعتبارها أمانة، وأن تبقى الوسائل خادمة للغايات المشروعة، وأن يأخذ المال والمكانة والانتشار مواقعها التابعة في حياة الإنسان.

3- العوامل الاجتماعية والثقافية المؤثرة في المقاصد

صور الانحراف السابقة تنشأ داخل الإنسان، لكنها تتأثر كذلك بالبيئة المحيطة به؛ فالثقافة والتعليم والاقتصاد والإعلام والجماعة والقنوة كلها تشارك في تشكيل دوافعه وتحديد معايير النجاح لديه.

*الثقافة الاستهلاكية والمقارنة الاجتماعية:

دفعت الثقافة الاستهلاكية إلى ربط النجاح بالامتلاك والمظهر والشهرة، فأصبح الإنسان أكثر انشغالاً بموقعه في أعين الآخرين. ومع اشتداد المقارنة تتحول بعض الأعمال إلى وسائل لإثبات الذات والمباهاة. وقد أرشد النبي ﷺ إلى ما يحرر النفس من هذا الاستنزاف بقوله: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» (مسلم، 1334هـ، رقم 2963، ج 8، ص 213).

*التعليم الشكلي:

حين ينحصر تقويم النجاح في الدرجات والشهادات والاعتمادات، تضعف مكانة الفهم والعمل والأثر. وقد عبّر ابن القيم عن مركزية الوحي في بناء العلم بقوله: «العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة هم أولو العرفان» (ابن القيم، 1417هـ، ص 226). ومن ثم يحتاج التعليم إلى ربط الشهادة بالمعرفة، والمعرفة بالمسؤولية، والمسؤولية بالأثر.

الضغوط الاقتصادية:

للحاجة المعيشية أثر واضح في ترتيب المقاصد؛ فقد يصبح الكسب المحرك الرئيس للتعلم والعمل، وتراجع المقاصد العلمية والتربوية والاجتماعية أمام ضغط الضرورة والطموح المادي. وقد قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: 20]. والتوازن يضع المعاش في موضعه الطبيعي بوصفه جزءاً من عمارة الحياة وتحقيق الكفاية.

* الاضطراب الهوياتي والانبهار بالنماذج المهيمنة:

قد تتحول معايير السوق والحدثة والشهرة إلى مرجعية تقيس قيمة الإنسان وعمله، فيتراجع ميزانه الإيماني والقيمي. ويعيد القرآن الإنسان إلى وعيه بذاته ومسؤوليته بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: 19]. ويؤكد السعدي في تفسيره معنى محاسبة النفس والنظر فيما قدمت لغدها، والاجتهاد في تصفية العمل من القواطع والعوائق (السعدي، 2000، ص 853). والوعي بالهوية يتيح الإفادة من منجزات الحضارات مع حفظ المرجعية والقيم.

* صناعة الشهرة الرقمية:

تمنح المنصات الرقمية الظهور والانتشار قيمةً مرتفعة، وتكافئ الحضور المتكرر وجذب الانتباه، فيتشكل ضغط مستمر نحو صناعة الصورة وعرض الذات. وقد قال النبي ﷺ: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة» (أبو داود، 2009، ج 6، ص 143). ويصبح التحدي هنا في توظيف الحضور الرقمي لخدمة الرسالة مع حفظ القلب من أسر الأرقام والاستحسان الاجتماعي.

* الولاءات الحزبية والقبلية والفئوية:

تؤثر الجماعة في مقصد الفرد حين يصبح الانتصار للفئة مقدماً على الحق والمصلحة العامة. وقد جاء في الحديث: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية» (أبو داود، 2009، رقم 5121، ج 7، ص 442). فاستقامة المقصد تقتضي أن تظل الروابط الاجتماعية خادمة للحق والعدل، لا حاكمة عليهما.

* ضعف القدوة:

للقدوة أثر عميق في تشكيل المقاصد؛ لأن الأجيال تتعلم من السلوك بقدر ما تتعلم من الخطاب. وقد وصف الحسن البصري أثر العلم في صاحبه بقوله: «كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وبصره، ولسانه، ويده، وصلاته، وزهده» (ابن المبارك، د.ت، ص 26). فالقدوة الصادقة تجسد الصلة بين العلم والعمل، وبين المكانة والأمانة، وبين النجاح والقيمة.

وبذلك يتضح أن الانحراف المقاصدي ثمرة تفاعل بين باعث داخلي وبيئة خارجية؛ فالرغبة في الشهرة أو المال أو الجاه قد تجد ما يقويها في ثقافة الاستهلاك، والتعليم الشكلي، وضغط الاقتصاد، والإعلام الرقمي، والولاءات الضيقة، وضعف القدوة. وفهم هذا التشابك يمهد للنظر في الآثار التي يتركها اضطراب المقاصد في الفرد والأسرة والمجتمع والأمة.

ثالثاً: الآثار المترتبة على الانحراف المقاصدي

لا تقف آثار الانحراف المقاصدي عند فساد الباعث في القلب، بل تمتد إلى العمل نفسه، ثم إلى الأسرة والمجتمع والأمة؛ إذ تتحدد قيمة الفعل بصدق القصد الذي يوجهه، ويمنح الإخلاص العمل روحه وبركته وأثره. وقد يصغر العمل في أعين الناس فيرفعه صدق النية، ويعظم في الظاهر ثم تضعف قيمته حين تستولي عليه دوافع الرياء والسمعة. ومن هنا يصبح اضطراب المقاصد باباً لآثار نفسية وتربوية واجتماعية وحضارية متشابكة.

1- الآثار الفردية والأسرية

*القلق وفقدان البركة واضطراب اليقين:

حين يتجه العمل إلى مدح الناس أو المكاسب العاجلة يضعف نصيب صاحبه من السكينة والرضا، ويغدو نجاحه مرتبطاً بنظرة الآخرين وتقلب مواقفهم. وقد قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23]. وهكذا يفقد العمل بركته الداخلية، ويعيش صاحبه قلقاً دائماً بين طلب القبول والخوف من انطفاء الصورة التي بناها أمام الناس.

*فساد القصد وضياغ الغاية:

النية هي التي تحدد وجهة العمل وقيمتها، كما قال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» (البخاري، 1422هـ، رقم 1، ج 1، ص 6؛ مسلم، 1334هـ، رقم 1907، ج 6، ص 48). فإذا تحولت الغاية من مرضاة الله إلى السمعة أو المظهر، انصرف العمل عن مقصده الأصلي، وأصبح الجهد أسيراً لرضا الخلق وموازينهم المتقلبة.

*ضعف الصلاة بالله:

الإخلاص يربط العبادة بمعناها الروحي، ويجعلها مجالاً للقرب والخشوع والطمأنينة. قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5]. وحين يضعف هذا المعنى تتحول العبادة إلى أداء معتاد يقل فيه حضور القلب، فتضعف آثارها في التزكية والإيمان.

*انعكاس الخلل على التربية الأسرية:

الأسرة تتشرب القيم من السلوك اليومي أكثر من الخطاب المجرد؛ فإذا غلب التفاخر والسمعة وحب المظاهر على حياة الوالدين انتقلت هذه المعايير إلى الأبناء، وأصبح النجاح لديهم مرتبطاً بالصورة والمال والثناء. وقد حذّر النبي ﷺ من الرياء فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قال: الشرك الخفي، أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل آخر» (أبو داود، 2009، رقم 4204، ج 5، ص 291).

*الهوان وسقوط الهيبة المعنوية:

من جعل رضا الناس غايته ظل أسيراً لتقلب أذواقهم وأحكامهم، وفقد شيئاً من استقلال قلبه وكرامته. وقد قال النبي ﷺ: «من سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ به، ومن رأى رأى اللَّهِ به» (مسلم، 1334هـ، رقم 2986، ج 8، ص 223). فالرياء يستهلك صاحبه في طلب الصورة، بينما يمنح الإخلاص القلب ثباتاً وصدقاً وحرية من التعلق بالمخلوقين.

2- الآثار المجتمعية والحضارية

*ضعف القدوة وشيوع المظهرية:

حين تنفصل المكانة العلمية أو الدينية عن صدق العمل، تتراجع ثقة المجتمع بالقدوات، ويصبح الظهور معياراً يطغى على العلم والخلق. وقد نُقل في بيان دقة هذا المقام: «ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما» (الهروي، 2002، ج 4، ص 1553). ومع شيوع هذا الخلل تنتقل المظهرية من سلوك فردي إلى ثقافة اجتماعية.

*إضعاف رسالة الأمة الإصلاحية والحضارية:

تقوم نهضة الأمم على صدق العاملين وحملهم لمسؤولياتهم بوصفها أمانات. فإذا دخلت المصالح الذاتية والرياء في العلم والدعوة والعمل العام ضعفت المبادرات، وتراجعت الثقة،

ووهنت القدرة على الإصلاح. وقد جاء في الحديث: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عملٍ عمله لله، فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك» (أبو داود، 2009، رقم 4203، ج 5، ص 291).

*اضطراب القيم وتفكك الروابط الاجتماعية:

الانحراف المقاصدي يضعف الصدق والأمانة والعدل، ويجعل السلوك محكومًا بالمصلحة والصورة أكثر من القيمة. وقد قال يوسف بن الحسين الرازي: «أعزُّ شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر» (التميمي، 2022، ص 207). فإذا اتسع هذا الخلل ضعفت الثقة بين الناس، وهشَّت الروابط التي تقوم عليها المؤسسات والمجتمعات.

*وهن القوة الجماعية:

تماسك الأمة يرتبط بصدق أبنائها وتكامل جهودهم وإخلاصهم في خدمة مصالحها. وقد قال النبي ﷺ: «إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم» (النسائي، 2018، ج 6، ص 85). فالإخلاص يجمع الجهود حول الغاية، بينما يبعثرها التنافس على الشهرة والمصالح والزعامة، فتضعف القدرة على مواجهة التحديات.

*اتساع دوائر الفساد والانحراف:

حين تصبح المظاهر والمصالح الشخصية مقياسًا للنجاح، تتسع مساحة التبرير والمجاملة والازدواجية، ويصبح الوصول إلى المكانة مقدمًا على استحقاقها. ومع تراكم هذه الصور يتراجع الحس الأخلاقي العام، وتضعف قدرة المجتمع على التمييز بين الإنجاز الحقيقي والصورة المصنوعة.

وبذلك يتبين أن آثار الانحراف المقاصدي تبدأ من القلب ثم تتسع دوائرها؛ فتظهر في اضطراب النفس، وضعف الصلة بالله، وخلل التربية الأسرية، ثم تنتقل إلى القدوة والمؤسسة والقيم العامة وقوة الأمة. ومن هنا تتجاوز قضية الإخلاص كونها شأنًا فرديًا خالصًا؛ فهي أساس في صلاح الإنسان، واستقامة الأسرة، ونزاهة المؤسسات، وقوة المجتمع وحيوية رسالته الحضارية.

رابعاً: معالجة الاختلال في مقاصد العمل والإخلاص

تبدأ معالجة الاختلال المقاصدي من الموضوع الذي ينشأ فيه: القلب الذي يحدد الغاية، ثم التربية التي تصوغ الوعي، ثم البيئة التي توجه السلوك وتكافئه. فاستقامة العمل ثمرة لاستقامة القصد، والإخلاص يحتاج إلى تعاهد يحفظه من تقلب الدوافع ومزاحمة الشهرة والمال والجاه. ومن ثم تقوم المعالجة على مسارين متكاملين: بناء الإنسان من داخله، وتهيئة بيئة تعليمية ومؤسسية ومجتمعية تعين على صدق العمل وجودته.

1- المعالجة الفردية والتربوية

* تجديد النية ومراقبة المقصد:

أولى خطوات الإصلاح أن يعتاد الإنسان سؤال نفسه عن الغاية من عمله: لماذا يبدأه؟ ولماذا يؤديه؟ وما الأثر الذي يرجوه منه؟ فاستحضار المقصد قبل العمل وأثناءه وبعده يحفظ الوجهة ويكشف ما قد يطرأ عليها من حب الظهور أو طلب الثناء. ويؤسس لذلك قول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» (البخاري، 1422هـ، رقم 1، ج 1، ص 6؛ مسلم، 1334هـ، رقم 1907، ج 6، ص 48). فتجديد النية ممارسة قلبية مستمرة تعيد العمل إلى غايته كلما تجاذبته الدوافع.

* تعميق الخشوع واستحضار الآخرة:

العبادة الواعية تربي القلب على مراقبة الله، وتحرره من الارتهاق لنظر الناس. فالصلاة والصيام والصدقة وسائر القرب تزداد آثارها التربوية بقدر حضور القلب واستشعاره الغاية التي شرعت من أجلها. ويوقظ ذكر الموت هذا الوعي ويعيد ترتيب الأولويات، ولذلك قال النبي ﷺ: «أكثرُوا من ذكر هادم اللذات» (ابن ماجه، 2009، رقم 4258، ج 5، ص 326). فاستحضار الآخرة يضع الشهرة والجاه والمكاسب العاجلة في حجمها الصحيح، ويقوي توجه القلب إلى ما يبقى.

*المحاسبة والمراجعة الذاتية:

تحتاج المقاصد إلى مراجعة كما تحتاج الأعمال إلى تقويم؛ لأن الباعث قد يتغير أثناء الطريق. والمحاسبة الواعية تسأل عن صدق النية، وسلامة الوسيلة، وموافقة العمل للشرع، وأثره في النفس والناس. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: 19]. كما يكتمل تصحيح القصد بتصحيح العمل نفسه وفق الهدي الشرعي، قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (البخاري، 1422هـ، ج 9، ص 107؛ مسلم، 1334هـ، رقم 1718، ج 5، ص 132). وبذلك تجتمع في المراجعة سلامة المقصد وصحة المسار.

*تحويل الأعمال اليومية إلى مجال للعبادة:

يتسع فقه النية ليشمل حياة الإنسان كلها؛ فالكسب والتعلم ورعاية الأسرة وخدمة الناس والراحة وسائر المباحات ترتقي بالنية الصالحة حين توجه إلى الاستعانة على الطاعة وتحقيق الخير وأداء المسؤولية. ويؤكد هذا البعد القلبي قول النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (مسلم، 1334هـ، رقم 2564، ج 8، ص 11). وهكذا يصبح الإخلاص منهجاً للحياة، ويعتاد الإنسان وصل أعماله اليومية بغاياتها الإيمانية والأخلاقية.

*بناء التربية على فقه النيات والمقاصد:

ويحتاج هذا الوعي إلى حضور واضح في التربية والتعليم؛ بحيث يتعلم الطالب منذ مراحل تكوينه أن قيمة العلم تتصل بمقصده وأثره، وأن النجاح يجمع بين المعرفة والأمانة والعمل. ويمكن تضمين فقه النيات والمقاصد في المناهج والبرامج التربوية بصورة تطبيقية، تقوم على محاسبة النفس، وتصحيح الدوافع، وربط التحصيل بخدمة الإنسان والمجتمع. وبذلك تنتقل قضية الإخلاص من المعرفة المجردة إلى مهارة تربوية ترافق المتعلم في مسيرته العلمية والعملية.

2- المعالجة الدعوية والمؤسسية والمجتمعية

*بناء القدوة وتصحيح مفهوم الشهرة:

تحتاج المجتمعات إلى قدوات تجعل العلم والعمل والأثر مقدمة على الصورة والانتشار. فالحضور العام وسيلة نافعة حين يحمل رسالة، وتبدأ المشكلة حين تستولي صناعة الشهرة

على المقصد. ومن أدق ما قيل في حفظ هذا التوازن: «ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما» (الحريقي، 1993، ص 64). والمطلوب إذن تربية العامل والداعية والعالم على أداء رسالته بصدق، سواء اتسعت دائرة حضوره أم ضاقت.

*إصلاح معايير التقييم والترقي المؤسسي:

للمؤسسات أثر مباشر في تشكيل دوافع العاملين؛ فما تكافئ عليه يتحول مع الزمن إلى معيار للنجاح. ومن ثم ينبغي أن تقوم معايير الترقى والتكريم في المؤسسات العلمية والدعوية على جودة العمل، وأصالته، وأثره، والأمانة في أدائه، وخدمة المصلحة العامة، مع وضع الشهرة والأرقام والمؤشرات الكمية في موقعها المناسب. فإصلاح المقاصد يحتاج إلى بيئة تجعل الإنجاز الحقيقي جديرًا بالتقدير، وتحثي العمل من سباق المظاهر.

*تكامل الأسرة والمدرسة والمسجد:

ترسيخ الإخلاص مسؤولية تربية مشتركة؛ فالأسرة تضع البذرة الأولى، والمدرسة تنمي الوعي، والمسجد يعمق الصلة بالله والقيم الإيمانية. ويقوى أثر هذه المؤسسات حين تتكامل رسائلها حول الصدق والأمانة وخدمة الناس، وترجمها إلى ممارسات عملية يتدرب فيها الطفل والشاب على العمل النافع، وتحمل المسؤولية، ومراجعة النية بعيدًا عن التفاخر والمباهاة.

*توجيه الإعلام والتقنية لخدمة المقاصد:

تمتلك الوسائط الرقمية قدرة واسعة على تشكيل الوعي، ولذلك يمكن تحويلها من بيئة تغذي الاستعراض والمقارنة إلى وسيلة لنشر ثقافة الإخلاص والعمل المسؤول. ويتحقق ذلك بالمحتوى التربوي الرصين، وإبراز القدوات الصادقة، ونشر التجارب النافعة، وتعزيز قيمة الأثر فوق مجرد الانتشار. قال تعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 105]. فالمعيار الأعلى للعمل يظل متصلًا بمراقبة الله وأداء الأمانة، بينما تكون المنصة أداة لحمل الرسالة إلى الناس.

وتتكامل هذه المعالجات في قاعدة واحدة: إصلاح المقاصد يحتاج إلى قلب يراقب، وتربية توجه، ومؤسسة تنصف، وبيئة اجتماعية تعلي قيمة الصدق والأثر. فالمعالجة الفردية

تحفظ منبع العمل، والمعالجة التربوية تبني الوعي، والإصلاح المؤسسي يصحح معايير النجاح، والإعلام المسؤول يوسع دائرة الثقافة المقاصدية. وعند اجتماع هذه المستويات يستعيد العمل معناه؛ فيغدو العلم رسالة، والوظيفة أمانة، والمنصب مسؤولية، والمال وسيلة، والحضور العام بابًا للنفع، وتتجه حركة الإنسان في مجموعها إلى مرضاة الله وعمارة الحياة بالخير.

خامسًا: الابتكارات المعاصرة في تعزيز الإخلاص ومقاصد العمل

يشهد العصر تحولات متسارعة أعادت تشكيل طرائق التعلم والعمل والتواصل وصناعة التأثير، حتى غدت التقنية عنصرًا فاعلاً في بناء الوعي وتوجيه السلوك. وفي قلب هذا التحول تبرز الحاجة إلى وصل الوسائل الجديدة بالقيم التي تهدي استخدامها؛ فالإخلاص يمنح العمل وجهته، والمقصد الرشيد يضبط مساره، والتقنية توسع أثره ومجاله. ومن هنا يفتح الابتكار المعاصر أفقًا رحبًا لتحويل الأدوات الرقمية والتربوية والمؤسسية إلى وسائل تعين الإنسان على استحضار مقاصده، ومراجعة دوافعه، وربط الإنجاز بالمسؤولية، والتقدم بالقيمة.

١- الابتكار الرقمي والإعلامي في تعزيز ثقافة الإخلاص

أصبحت البيئة الرقمية من أوسع المجالات تأثيرًا في تشكيل الاهتمامات والدوافع ومعايير النجاح؛ فهي تصنع الحضور، وتضاعف الانتشار، وتفتح أبوابًا واسعة للتعلم والتوجيه. ومن ثم يمكن استثمار قدرتها الاتصالية والتفاعلية في بناء وعي مقاصدي يجعل التقنية حاملة للقيمة، ويوجه المستخدم إلى استحضار غاية العمل وأثره.

*تطبيقات ذكية لاستحضار النية ومراجعة المقصد:

يمكن تطوير تطبيقات وأدوات رقمية تساعد المستخدم على استحضار غاية عمله قبل البدء فيه، ومراجعة مقصده أثناءه وبعده، من خلال تذكيرات مختصرة، ونصوص قرآنية ونبوية، وأسئلة للتأمل والمحاسبة الذاتية، ومساحات خاصة لتسجيل المراجعات الشخصية. وبذلك تتحول التقنية إلى معين على يقظة القلب وحسن توجيه السلوك.

*صناعة القدوة الرقمية الهادفة:

تملك المنصات الاجتماعية قدرة واسعة على تشكيل النماذج التي يتطلع إليها الناس، ولا سيما الشباب. ويمكن توظيفها في تقديم نماذج من الصحابة والعلماء والمصلحين وأصحاب

المبادرات النافعة، مع إبراز صدقهم في العمل وتجردهم للرسالة وأثرهم في الناس؛ ليصبح الانتشار جسراً لإيصال القيمة وتوسيع دائرة النفع.

*المحتوى التفاعلي في تعليم فقه النيات والمقاصد:

تتيح التقنيات التعليمية تقديم قضايا النية والإخلاص في صور أكثر اتصالاً بالواقع، من خلال المقاطع التفاعلية، والأسئلة الموقفية، والسيناريوهات والمحاكاة الرقمية. فيوضع المتعلم أمام مواقف تتداخل فيها دوافع المال والشهرة والمنصب وخدمة الناس، ثم يتدرب على تحليلها وتمييز المقصد الأصيل من الدوافع المزاحمة له.

*المبادرات والحملات الرقمية الموجهة نحو الأثر:

يمكن إطلاق مبادرات تربط الحضور الإلكتروني بأعمال نافعة في الواقع؛ كخدمة المحتاجين، ونشر المعرفة، والعناية بالبيئة، وصلة الأرحام، والتطوع المجتمعي. وتزداد قيمتها حين تربى المشاركين على أن المنصة وسيلة لتحريك الخير وتوسيعه، وأن قيمة المبادرة فيما تحققه من أثر صالح.

*توظيف التحليلات الرقمية في تطوير البرامج:

تفيد البيانات الرقمية في معرفة مدى وصول البرامج التربوية، وأنماط التفاعل معها، والموضوعات الأكثر تأثيراً في الجمهور، ثم تطوير المحتوى والوسائل في ضوء هذه المؤشرات. ويتعلق القياس هنا بفاعلية البرامج والسلوكيات الظاهرة، أما الإخلاص فحقيقة قلبية مردها إلى الله تعالى. وبهذا تخدم البيانات التربية، مع حفظ المقاصد القلبية من اختزالها في الأرقام والمؤشرات.

2- الابتكار التربوي والمؤسسي في بناء الوعي المقاصدي

يكتمل أثر التقنية حين تسندها تربية تصوغ الإنسان، ومؤسسة ترشد بيئته، وممارسات تحول المعاني إلى سلوك. ومن هنا تتجه الابتكارات التربوية والمؤسسية إلى بناء القدرة على استحضار المقصد ومراجعة الدافع، وربط النجاح بالأمانة والجودة والنفع.

*برامج تطبيقية في فقه النيات والمقاصد:

يمكن للمدارس والجامعات والمؤسسات التدريبية بناء وحدات تعليمية تجمع بين التأصيل الشرعي والتطبيق الواقعي، وتتناول النية والإخلاص ومقاصد التعلم والعمل والمسؤولية المهنية. وتقوم هذه البرامج على تحليل المواقف، ومناقشة تزام الدوافع، وتدريب المتعلم على السؤال عن غاية العمل ووسيلته وأثره ومآله.

*المحاكاة التعليمية والمواقف التفاعلية:

تتيح المحاكاة بناء مواقف قريبة من تحديات الواقع: باحث يوازن بين جودة الدراسة وسرعة النشر، وموظف بين الأمانة والمصلحة، وداعية بين تبليغ الرسالة وبريق الشهرة، وصاحب مسؤولية بين الحق وضغط الجماعة. ومن خلال هذه المواقف يتدرب المتعلم على كشف تزام المقاصد وترتيب الأولويات واتخاذ القرار على أساس قيمي واعٍ.

*تطوير معايير التقييم والتميز المؤسسي:

يمكن للمؤسسات العلمية والتعليمية والدعوية تطوير أنظمة التقييم بحيث تمنح جودة العمل وأصالته وأمانته أدائه ونفعه العام وزناً حقيقياً في التقدير والترقي. فالمؤسسة تشارك من خلال ما تكافئ عليه في تشكيل دوافع أفرادها، وكلما ارتبط التقدير بالإنجاز الحقيقي والمسؤولية والأثر نشأت بيئة أكثر قدرة على توجيه التنافس نحو الإتيان والخدمة.

*أدوات المراجعة الذاتية للمقاصد:

يمكن تصميم نماذج ومنصات خاصة تساعد الفرد على مراجعة أعماله بصورة دورية: ما الغاية التي بدأ بها؟ وما الدوافع التي طرأت أثناء العمل؟ وهل حافظت الوسيلة على سلامتها؟ وما الأثر الذي تحقق؟ وتسهم هذه الأدوات في تنمية المحاسبة والوعي الذاتي، مع إبقاء السرائر في مقامها الذي يعلمه الله تعالى.

*ورش المقاصد المهنية:

يمكن نقل فقه المقاصد إلى التخصصات المختلفة عبر ورش تطبيقية تتناول مقصد الطبيب في حفظ الحياة، والمعلم في بناء الإنسان، والباحث في إنتاج المعرفة، والإعلامي في

خدمة الحقيقة، والموظف في أداء الأمانة، والتقني في توجيه الابتكار إلى النفع. وبهذا تتصل المقاصد بالواقع المني، ويصبح الإخلاص دافعاً إلى الإتقان والمسؤولية وجودة الأداء.

*التكامل بين الأسرة والمؤسسة والمسجد والمجتمع:

تزداد فاعلية هذه المبادرات حين تتكامل البيئات التي تصوغ الإنسان؛ فالأسرة تؤسس المعنى، والمدرسة والجامعة تنميانه، والمسجد يعمق بعده الإيمان، والمؤسسة تختبره في الممارسة، والإعلام يوسع حضوره في المجال العام. ويمكن بناء برامج مشتركة تجمع هذه الأطراف حول قيم الصدق والأمانة وخدمة الناس، فتتحول ثقافة الإخلاص إلى وعي اجتماعي متكامل.

وتكشف هذه الابتكارات أن التقنية والتربية والمؤسسة قادرة على فتح مساحات جديدة لخدمة مقاصد العمل متى أحسن توجيهها؛ فالتطبيق يوقظ الوعي، والمحتوى يبني القدوة، والمحاكاة تدرب على تمييز الدوافع، والمؤسسة ترشد معايير النجاح، والبيئة المجتمعية تمنح القيمة امتدادها واستمرارها. وتبقى حقيقة الإخلاص سريرة يتعاهد بها الإنسان بالمراقبة والمحاسبة، فيما تربي الوسائل المعاصرة بيئة تعينه على استحضارها وصيانة آثارها.

الخاتمة

في ختام هذا البحث في النية والإخلاص ومقاصد العمل، تتجلى حقيقة مركزية مفادها أن قيمة العمل تستمد جوهرها من سلامة القصد وصفاء الوجهة، وأن الإخلاص هو الروح التي تمنح السعي معناه وبركته وأثره. وقد كشف البحث عن صور الانحراف المقاصدي وعوامله وآثاره، وبيّن مسالك معالجته وسبل تعزيز الإخلاص بأدوات تربوية ومؤسسية ورقمية معاصرة. وتأتي هذه الخاتمة لتجمع أبرز ما انتهى إليه البحث من نتائج، وتبلور أهم التوصيات الكفيلة بترسيخ ثقافة الإخلاص واستقامة مقاصد العمل.

أولاً: أهم النتائج

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج الجوهرية التي تُبرز واقع مقاصد العمل بين الاستقامة والانحراف، وهي كالتالي:

النية والإخلاص أساس قبول العمل: لقد تبين أن النية الصافية والإخلاص لله وحده هما المعيار الحقيقي لقيمة الأعمال، كما جاء في القرآن والسنة، وأن غيابهما يؤدي إلى بطلان العمل أو نقص أثره، مهما علا شأنه ظاهرياً.

صور الانحراف متعددة ومتنوعة: أبرز الانحرافات في الواقع المعاصر تشمل: التنافس العددي على الكم في العلم، تسليع المعرفة، الرياء الرقمي، استعراض المناصب والإنجازات، الانغماس في الجدل العقيم، واستغلال العمل الديني أو العام للمنفعة الشخصية أو الشهرة. العوامل الاجتماعية والثقافية معززة للانحراف: الهيمنة الاستهلاكية، ضغوط الاقتصاد، الانهيار بالغرب، الإعلام الموجّه، ضعف القدوات، العولمة، والولاءات الضيقة جميعها تساهم في تشويه المقاصد وتحويل العمل من وسيلة للعبادة والارتقاء إلى وسيلة للمنافع الدنيوية.

انعكاسات الانحراف خطيرة: على الفرد، يؤدي إلى ضعف الإيمان، وفقدان البركة في العلم والعمل؛ وعلى الأسرة، يضعف التوجيه القيمي والتربوي؛ وعلى المجتمع والأمة، يفضي إلى فقدان النزاهة والعدالة وانتشار مظاهر الرياء والفساد الاجتماعي والمعنوي.

إصلاح المقاصد يبدأ من الداخل: يتضح أن تجديد النية، وإحياء الإخلاص، وتوجيه الأعمال نحو الله، هو المدخل الرئيس لإصلاح الواقع، قبل أي تدخل مؤسسي أو تقني.

ثانيًا: أهم التوصيات

انطلاقًا من النتائج السابقة، يقترح البحث عددًا من التوصيات العملية والتربوية لتعزيز مقاصد العمل واستقامة النية والإخلاص:

التربية على النية والإخلاص: إدماج مفاهيم النية والإخلاص في المناهج التعليمية والتربوية، مع تقديم نماذج عملية تُظهر أثر العمل الخالص لله في الفرد والمجتمع.

ضبط المؤسسات الدينية والعلمية: وضع آليات رقابية ومعايير واضحة لاختيار العاملين والمشرفين على المناصب الدينية والعلمية، لضمان تفرغهم للغاية الشرعية وصدق النية.

توظيف الإعلام والتكنولوجيا الإيجابية: استخدام وسائل التواصل ووسائل الإعلام الرقمية لنشر ثقافة الإخلاص والنية الصافية، والابتعاد عن التسويق الشخصي أو منافسة الشهرة.

تعزيز القدوة الصالحة: إبراز العلماء والدعاة والمربين الذين يمثلون نموذجًا للإخلاص والصدق في العمل، ليكونوا مصدر إلهام للأجيال الناشئة.

معالجة العوامل الاجتماعية والثقافية: الحد من الانهيار بالنماذج الاستهلاكية والغرب، وتوجيه الضغوط الاقتصادية والاجتماعية نحو تعزيز العمل القيمي والروحي، مع تشجيع ثقافة التنافس الصحي على الخير لا على المنفعة الدنيوية.

تطوير برامج الإصلاح الفردي والمجتمعي: تنظيم برامج عملية وتربوية تهدف إلى تنمية الوعي بالمقاصد، وتصحيح الانحرافات، وترسيخ مبدأ أن كل عمل يُقبل ويُرتقى بقصد الله وحده.

لائحة المراجع:

القرآن الكريم.

أبو بكر محمد زكريا. الشرك في القديم والحديث. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، 2000م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي. دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م.

أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.

أحمد رضا. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة). بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ط، 1380هـ.

الأزدي، محمد بن الحسن بن دريد. جمهرة اللغة. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1987م.

البعلي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل. المطلع على ألفاظ المقنع. تحقيق: محمود الأرنؤوط وياسين محمود الخطيب. جدة: مكتبة السوادي للتوزيع، ط1، 2003م.

البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: جماعة من العلماء. بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. الجامع الكبير «سنن الترمذي». تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد اللطيف حرز الله، وآخرون. بيروت: دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م.

التميمي، محمد بن خليفة. شرح رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية. اعتنى به وأعداه للنشر: عبد الجابر عبد العظيم بن محمد آل ماجد. الرياض: دار الأمجد للطباعة والنشر، ط1، 1444هـ/2022م.

التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف. التعريفات. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.

الحريقي، حمد بن إبراهيم. التوحيد وأثره في حياة المسلم. الرياض: دار الوطن، ط1، 1993م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ / 2000م.

سليمان بن عبد الله بن عبد الله. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد. تحقيق: زهير الشاويش. بيروت ودمشق: المكتب الإسلامي، ط1، 2002م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار. بيروت: دار ابن حزم، ط1، د.ت.

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. رسالة الإعلام في بلاد الإسلام وعلاقتها بالدعوة الإسلامية. «مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية». أعدده للشاملة: أسامة بن الزهراء، تاريخ النشر بالشاملة: 8 ذو الحجة 1431هـ.

الفيومي، حسن بن علي بن سليمان. فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري. تحقيق: محمد إسحاق محمد آل إبراهيم. ط1، 1439هـ / 2018م.

القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبد الله الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1964م.

ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد. المصنف. تحقيق: سعد بن ناصر الشثري. الرياض: دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، ط1، 2015م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. بدائع الفوائد. تحقيق: علي بن محمد العمران. بيروت: دار ابن حزم، ط5، 1440هـ/2019م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. متن القصيدة النونية. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2، 1417هـ.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

ابن ماجه، محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون. دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م.

الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب. أدب الدنيا والدين. دار مكتبة الحياة، د.ط، 1986م.

المروزي، عبد الله بن المبارك. الزهد والرقائق لابن المبارك، من رواية الحسين المروزي، وملحق بآخره زيادات من رواية نعيم بن حماد. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، د.ت.

مسلم بن الحجاج. الجامع الصحيح «صحيح مسلم». تحقيق: محمد ذهني أفندي، وآخرون. بيروت: دار الطباعة العامرة، 1334هـ.

النسائي، أحمد بن شعيب. سنن النسائي المجتبى. تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، ومحمد أنس مصطفى الخن، وآخرون. دار الرسالة العالمية، ط1، 1439هـ/2018م.

الهروي، علي بن سلطان محمد. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. بيروت: دار الفكر، ط1، 1422هـ/2002م.